مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE FOUNDATION

كتاب في دقائق
2018

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

زايد

ابن الصحراء صانع الحضارة

عام
زايد

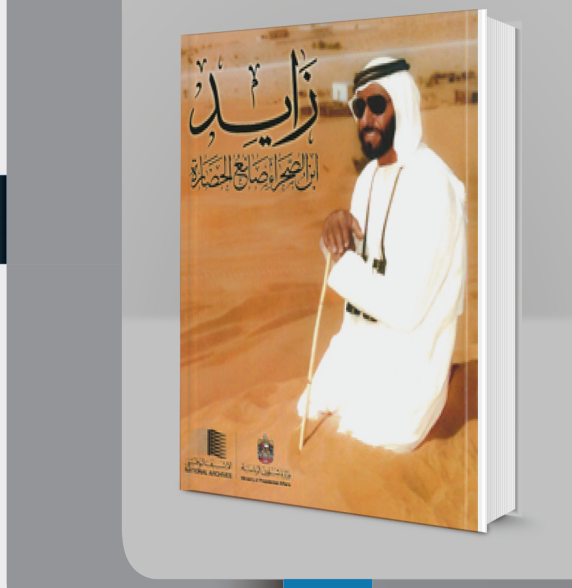

تأليف

الدكتور/ محمد مرسي عبدالله

وزارة شؤون الرئاسة
Ministry of Presidential Affairs

الأرشيف الوطني
NATIONAL ARCHIVES

163

المبادرات والمشاريع

برنامج دبي الدولي للكتابة
Dubai International Program for Writing

جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM KNOWLEDGE AWARD

تحدي القراءة العربي

2030 LITERACY CHALLENGE

ملتقى العرب للابتكار

في ثوانٍ...

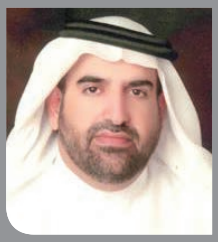

يؤكد المؤرخون، ومنهم الدكتور محمد مرسي عبدالله مؤلف كتاب: «زايد.. ابن الصحراء صانع الحضارة»، أنَّ المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، تخرج في واحدة من أقدم جامعات العالم وأكثرها صعوبةً واتساعاً؛ ألا وهي جامعة الصحراء التي صقلت شخصيته متعدّدة الجوانب، كونه الابن الشجاع لصحراء الإمارات، التي في وهادها ترعرع وعلى رُباها نشأ؛ فمنذ أن شبَّ عن الطوق، شكَّلت الصحراءُ جامعته الكبرى بكل معارفها وحكمتها وفنونها وأخلاقها وتراثها وتكوينها للرجال الأشدَّاء، وهي ذات المدرسة التي نشأ وترعرع فيها رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، وخلفاؤه الراشدون وقادةُ الفتوحات، وساسة الأمَّة الذين عَمَّروا الأرضَ ونشروا العدلَ والعلمَ وأثْروا الحضارةَ الإنسانية.

صنعت الصحراءُ شخصيةَ زايد متعدّدة الجوانب؛ زايد الوطني والمُصْلح والقائد العربي الغيور على أمته، فتعلَّم فنَّ التوفيق بين المُتنازِعين، وكان من أوائل السياسيين الذين ابتكروا طريقاً بديلاً عمَّا يراه ويفكّر فيه المتنازعون. وقد تَعَلَّم من قبائل الصحراء مبادئ الشورى والاستماع للرأي الآخر، كما برزَ حبُّه للرياضة والصيد والقنص وركوب الخيل، ما صقلَ فيه الإرادة القوية، فكانت تلك عدَّته في تحقيق آمال شعبه.

وفي كتاب «مجتمع المعرفة» يُسلِّط «جون مورافيك»، الضوء على أهمية شغف المجتمعات بالمعرفة، حيث لا يتوقّف دور الحكومات على نشر الوعي التكنولوجي، وتمكين المعلمين والموظفين من أدوات العصر، والتخلّص من أساليب التعليم والمناهج العتيقة، ومتابعة أداء الطلاب والعاملين والعلماء بانتظام، سواء من خلال الأسرة أو المدرسة، وبناء مجتمع قادر على استيعاب الكفاءات والمنافسة. ويرى «مورافيك»، وهو مفكر مهتم بمستقبل المعرفة، أن دور الحكومات الذكية يشمل تسهيل التبادل المعرفي ووضع سياسات ريادية واستشرافية غير محدودة، تُمكّن كل فرد في مجتمعاتها من معرفة ذاته، وإدراك وعيه بقدراته ووضعها موضع التطبيق. عندما يلعب كلُّ إنسان دورَه في التعلم والعمل والتعامل، وتُصمم منظومات الأداء العملي والمعرفي لوضع كل خبرة وفكرة في مكانها المناسب، تُصبح عملية التعلم فعلاً إنسانياً غريزياً، فتزدهر المؤسسات، وتتقدم المجتمعات في سُلَّم التنافسية الذي لا يعرف الحدود.

وعن تأثير التكنولوجيا ودورها العميق في اقتصاد المعرفة، يرى المؤلف «مالكولم فرانك» مع زملائه الباحثين في كتاب «ماذا نفعل عندما تعمل الآلة كل شيء»، أنَّ الآلات الجديدة المزوَّدة بالمعرفة والخوارزميات الذكية، قد تحل محلَّ الكثير من العاملين الحاليّين، ولكنّ تلك الآلات ستوفر فرصَ عملٍ جديدةً، وستمكّننا من ابتكار وتطوير نماذج أعمالٍ أكثر إنتاجية وإرضاءً لنا من أعمالنا الحالية. وهذا يعني ببساطة أنَّ النُظُمَ الجديدةَ سترتقي بمستويات المعيشة وستؤدّي إلى نمو اقتصادي واسع النطاق، وسيكون الاقتصاد العالمي أقوى بكثير ممَّا تخيَّلنا في السنوات المقبلة. وهذا يعني أنَّه عندما ستفعل الآلات كل شيء نيابة عنَّا، سيبقى لنا الكثير لنتخيَّله ونبدعَه ونبتكرَه.

جمال بن حويرب
المدير التنفيذي لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

جامعة الصحراء

ليست هناك صفة شاملة تجمع كل جوانب شخصية المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيَّب الله ثراه)، وهي شخصية متعدّدة الجوانب، أكثر من أنَّه الابن الصادق لصحراء الإمارات وباديتها؛ ففيها ترعرع، وعلى رُباها نشأ.

وُلِد الشيخ زايد في قصر الحصن في أبوظبي، ولكنَّه تربَّى وشبَّ عن الطوق في قلب الصحراء، التي شكَّلت مدرسة زايد وجامعته بكل معارفها وحكمتها وفنونها وأخلاقها وتقاليدها، وتراثها وتكوينها للرجال الأشدَّاء، وهي ذات المدرسة التي نشأ وترعرع فيها رسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفاؤه الراشدون، وقادة الفتوحات، وساسة الأمَّة، وقد عمَر هؤلاء جميعاً الأرض، ونشروا فيها العدل والعلم والحضارة.

بين ربوع «الختم» و«الظفرة» و«ليوا» عاش زايد سنواته الأولى، وفيها تعلَّم مبادئ القرآن، وحفظ الشعر والأدب، وبدأ يسمع من أبنائها ورجالها أخبارها المعاصرة وتاريخها القريب والبعيد، فكانت هذه الدراية بالتاريخ والتراث زاده وعتاده وثقافته السياسية، ولا شكَّ في أنَّ الشيخ زايد قد استلهم الكثير من قدراته السياسية من درايته بشخصيات وتاريخ حكَّام آل نهيان الكبار الذين سبقوه، وقد عرف عن شيوخ آل نهيان حبَّ الوطن والشجاعة والحكمة والكرم، وأصالة الرأي.

تعلَّم زايد في الصحراء فنَّ التوفيق بين المُتنازِعين، وأهَّلَه ذلك للنجاح حينما تسلَّم أمور العين والمنطقة الشرقية، وأصبحت هذه الهبةُ في شخصيَّته صفةً بارزةً حينما برز على مسرح الأحداث في العالم العربي، وقام بالتوفيق بين مختلف البلدان العربية المختلفة، فكان من أوائل سياسيي القرن العشرين الذين كانوا يجدون بديلاً وطريقاً ثالثاً مبتكراً ومختلفاً عمَّا يراه ويفكّر فيه الطرفان المتنازعان، كما تعلَّم من الصحراء وقبائلها مبدأ الشورى والاستماع للرأي الآخر، وتقدير وجهة نظر أهل الحكمة والمشورة.

تعلَّقت عينا زايد بصفاء السماء، وامتدَّت أحلامُه لإسعاد أبناء هذا الوطن، وتحقيق المستقبل الباسم لهم، وكانت حياته الأولى في الصحراء مدرسةً صقلت إرادته وعزمه، وكان حبُّه للرياضة، والصيد والقنص، وركوب الخيل، سبباً في اشتداد عزيمته وقوَّة بنيته، فساعده كل ذلك على بذل الجهد العظيم الذي كان ينتظره، وصقل

فيه الإرادة القوية، وكانت تلك عدَّته في تحقيق آماله وآمال شعبه.

من أبرز صفات الشيخ زايد البساطة، وقد لازمته هذه الصفة في بداية حياته، حيث كان بسيطاً في ملبسه وحياته، يحبُّ الجلوس على الأرض بين إخوانه وضيوفه، وقد استرعت هذه الصفة أنظار كل من التقاه؛ لا سيما الأجانب.

هكذا أخرجت الصحراء هذه الشخصية المتعدّدة الجوانب: زايد الوطني، والمصلح، والقائد العربي المرموق، والغيور على دينه وبلده.. زايد الإنسان الذي قدَّره العالم.

زايد وموهبة القيادة

تنبع موهبة القيادة عند الشيخ زايد من حبّه للناس، ومن سماحة نفسه، فهو أبٌ للشعب يسأل عن أحوالهم، ويعمل الخير لهم، وهذا أحد أسرار التفاف الناس حوله، فقد كان زايد حكيمَ الرأي، هادئَ التفكير، يحبُّ التضحية براحته لإسعاد أبناء بلده، وهو كريم سخي، عطاؤه غامر للقريب والبعيد، وهو رجل المواقف الوطنية في بلده وفي قضايا أمَّته العربية، وكل هذه صفات ضرورية في القائد.

كل من يعرف مستوى التحوُّل السياسي والقيادي بعد تولّي الشيخ زايد مقاليد الحكم عام (1966)، يكتشف جانباً عظيماً من موهبة القيادة في شخصية الشيخ زايد. وكل من يعرف الحياة السياسية بالإمارات في الماضي، يدرك أيضاً أنَّ قيادة الشيخ زايد وصحبه الكرام من شيوخ الإمارات قد حقَّقت التآلف والمودَّة، فاجتمع الجميع على قيام الاتحاد في لقائهم التاريخي في دبي عام 1968.

نجح الشيخ زايد في صناعة الرجال الذين يعينونه في مهمَّته الصعبة، وهو صبور في صنعته هذه، فقد تَعَهّد الصغارَ من أبنائه وأبناء الشعب حتى صاروا شباباً، وأسند إليهم المسؤوليات. تعهَّدهم بالعلم والأخلاق بما أنشأ من: مدارس، وجامعات، وكليات، وبما أرسل من بعثات في جميع نواحي الحياة، وها هي دولة الإمارات تفخر بالرجال الأكفاء، الذين يضحُّون لخدمة الوطن.

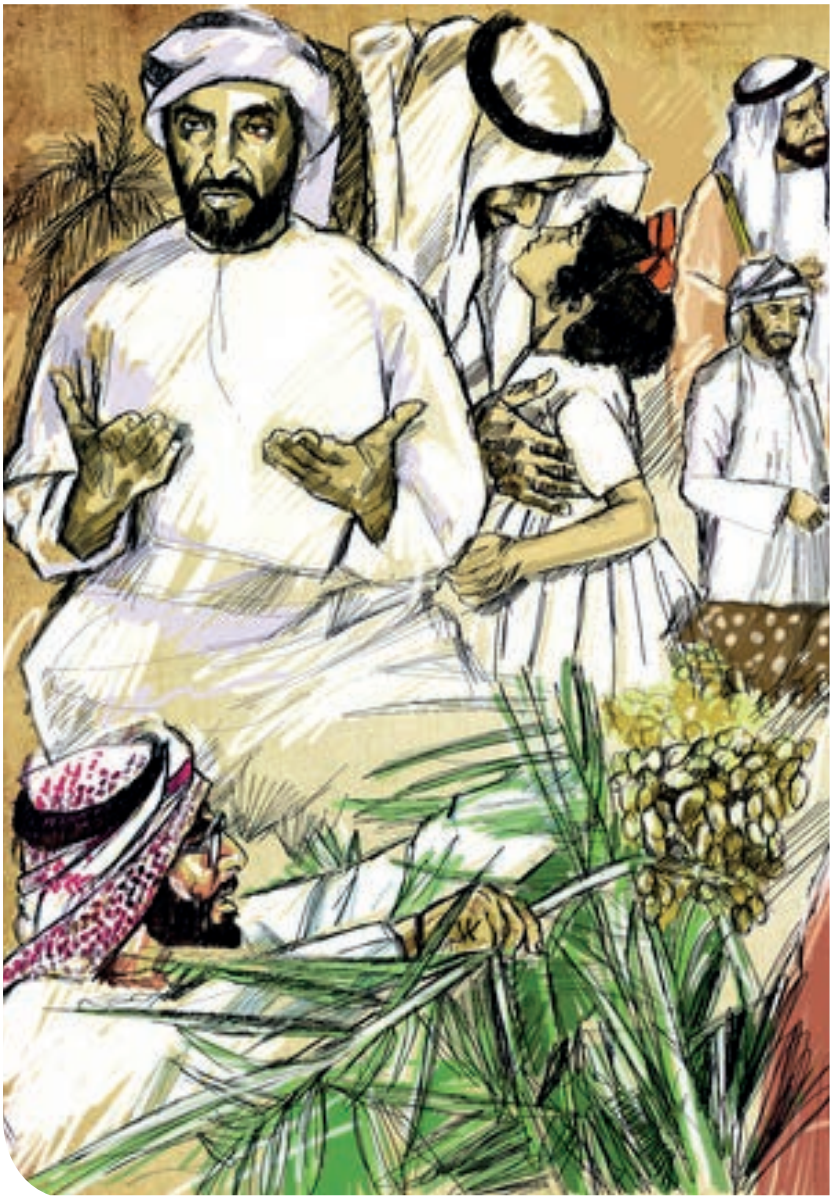

زايد والعمران

أحبَّ زايد صحراء بلاده، وتعلَّم تراثها وتاريخها، فأعطت هذه الصحراء أهلها الخير العميم من باطن أرضها: أعطت البترول إضافة إلى ما قدَّمت في الماضي من رسالة الإسلام ورجاله العظماء.

أراد زايد أن يقهر هذه الصحراء بحبّه لها، فبالعلم الحديث تنشأ المدن وتتلألأ الأنوار، وبالعلم الحديث يمدها زايد بالماء فينشئ على طول طريق أبوظبي ـ العين واحات خضراء ومدناً لأهل الصحراء، وتصبح العين قلعة العلم واحة خضراء، والرويس قلعة الصناعة واحة خضراء، وفي صحراء بينونة نجد الغابات، وفي جزيرة صير بني ياس مركزاً للمحافظة على البيئة بنباتاتها وحيواناتها وطيورها، هكذا تحوَّلت الصحراء إلى جنَّة خضراء، وارتفعت البنايات في المدن، وزخرت الأرض بالمصانع.

القيادة المبكّرة في العين

يعدُّ الدارسون في علوم السياسة والتاريخ الشيخ زايد بن سلطان قائد مسيرة وزعيم تحوُّل تاريخي بارز في عصره، الرجل الذي أظهرت التحدّيات التي يواجهها بلده ويواجهها عالمه العربي الكبير أنَّه ذو معدن أصيل وصاحب مقدرة سياسية، والمواقف الصعبة التي أهَّلته لأن يحتلَّ مقعداً مرموقاً بين عظماء الرجال ومؤسّسي الدول في التاريخ.

بين عامي 1946 و1966 واحد وعشرون عاماً قضاها الشيخ زايد بن سلطان في منطقة العين، وتعدُّ هذه السنوات فترة ذات أهمية قصوى في مستقبله السياسي، فقد اكتسب في هذه الفترة خبرة رشحته لأن يتولَّى حكم إمارة أبوظبي، فقد صقلته سنوات مدينة العين، وقدَّمته حاكماً مرتقباً تنتظره البلاد للإصلاح والنهضة والتقدُّم.

عاصر الشيخ زايد في الأربعينيات والخمسينيات فترة الكشف عن البترول، وعُرِف عنه صرامته في حفظ النظام، والضرب على يد العابثين بالأمن، وقد بنى في هذه الفترة المبكّرة عام 1948 قلعة العين رمزاً للأمن والنظام، ولكنَّ السرَّ الأكبر لاستتباب الأمن والنظام في كل إمارة أبوظبي- رغم اتساعها وامتداد أراضيها- كان محبَّة القبائل للشيخ زايد بن سلطان. كان الحبُّ الذي يربطه بالقبائل والأهالي سبباً رئيساً لحفظ الأمن والنظام في التقدُّم والرخاء، وللبحث عن البترول في ذلك الوقت، وفي نهضة البلاد وقيام العمران فيها.

يدرك المراقب للأحداث العربية في تلك الفترة من انتصارات وانتكاسات، أنَّ الشيخ زايد لم يقضِ وقته في تأمُّل الأحداث فقط، بل كان يعيش في منطقة العين ويعمل في صمت. لقد أحسَّ بحاجة الشعب إلى الإصلاح، ورغبته في الحياة التي بدأت تدبُّ حوله في منطقة الخليج العربي، وكان يردّد دائماً: «أعدُّ نفسي ربَّ عائلة كبيرة هي الشعب، وإنَّ سعادتي تتحقَّق عندما أرى هذا الشعب وهذه العائلة في رفاهية وسعادة».

عرف الشيخ زايد قيمة الاقتصاد في حركة الإصلاح، فاهتمَّ بسوق مدينة العين ليضمن لأهل المنطقة الشرقية حاجاتهم، ولما كان الماء عصب الحياة وسرَّها في الصحراء، اهتمَّ بترميم الأفلاج القديمة التي أفسدها الزمن، فقد أصلح فلج الصاروج، وشجَّع الأهالي على تطهير الأفلاج، وأمدَّ المزارعين بالإمكانات، فبدأ اللون الأخضر الذي يعشقه يزداد امتداداً في منطقة العين وسط محيط الرمال الصفراء.

لا شكَّ في أنَّ اسم الشيخ زايد الذي ذاع أثناء وجوده في العين، واتجاهاته الإصلاحية التي عرف بها وقتئذ، وشخصيَّته القياديَّة المحبوبة، كلَّ هذا أهَّله لأن يكون حاكم إمارة أبوظبي، وهي الخطوة التي رشَّحته بعد ذلك، وبما أنجزه في إمارة أبوظبي، وبما قدَّم لإخوانه في الإمارات ليظهر على المسرح السياسي في الإمارات، وليكون الرئيس المنتخب لدولة الإمارات العربية المتحدة عام 1971.

زايد حاكم إمارة أبوظبي

كانت السنوات الخمس التي حكم فيها الشيخ زايد بن سلطان إمارة أبوظبي بين أغسطس (1966)، وديسمبر (1971) مرحلةً مهمَّة في حياته السياسية، فلقد عاصر في بداية حكمه نكسة يونيو (1967)، ثمَّ كانت وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في سبتمبر (1970)، وكانت هذه أياماً عربية صعبة بلا شك، وعاصر الانسحاب البريطاني من عدن عام (1967)، ومن الخليج العربي في يناير (1968).

رأى الشيخ زايد أنَّ حل مشكلة إمارة أبوظبي التي تتوق إلى الإصلاح، وحلَّ قضيَّة الأمة العربية بعد نكسة 1967 هو أن يبدأ أولاً بسباق مع الزمن كي تلحق إمارته بركب التقدُّم، بإنشاء أسس الدولة الحديثة فيها. لقد رأى أن يضيء شمعةً في ظلام الأمَّة العربية في ذلك الوقت، وكانت هذه الشمعة هي نهضة إمارة أبوظبي. أدَّت هذه البداية إلى تطوُّرات جديدة، فلم يقف طموحه السياسي عند حدود إمارة أبوظبي، بل راح يرنو إلى تحقيق نصر عربي، وقد أنجز في هذه السنوات الخمس انتصارين كبيرين:

- **الأول:** نهضة إمارة أبوظبي، وكان يرى في تقدُّمها سنداً لبقيَّة الإمارات، وعوناً لإخوانه حكَّام الإمارات، فكانت النتيجة الطبيعية أن يرتبط بهذه النهضة الانتصار الثاني الأكثر أهمّية.
- **الثاني:** تحقيق أمل حكَّام الإمارات وأبنائها، وأمل الأمة العربية بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، دولة تؤكّد أنَّ فكرة الوحدة العربية يمكن أن تكون حقيقة، وأنَّ هذا المبدأ ليس سراباً.

كان تولّي الشيخ زايد زمام القيادة في الإمارات؛ بشيراً بحياة جديدة، فالتفَّ الجميعُ حولَه، وفتح ذراعي الإمارة لكل أبنائها لتعميرها ونهضتها، وتكاتف الجميع في إخلاص وحب، وكانت ثمرة ذلك سباقاً مع الزمن كي تلحق الإمارة بركب الحضارة والتقدُّم.

أرسى الشيخ زايد قواعد الإدارة الحديثة بإنشاء الدوائر المختلفة للنهوض بأعباء التعمير، وكانت إمارة أبوظبي في السنوات الخمس من حكمه ورشة عمل كبرى. كانت إرادة زايد ومن حوله من الرجال تُسابق الزمن في السرعة وقد أتاح الشيخ زايد لمجموعة مخلصة من آل نهيان ولعدد من أبناء القبائل تحمُّل المسؤولية الكبيرة معه.

زايد وقيام الاتحاد

يعدُّ قيام دولة الإمارات العربية المتحدة أعظم إنجاز سياسي حقَّقه الشيخ زايد في حياته السياسية وكل ما حقَّقه بعد ذلك من إنجازات عظيمة، هو نتيجة طبيعيَّة لتكوين هذه الدولة على يدي هذا القائد العظيم، بالتعاون مع إخوانه حكَّام الإمارات، ونتيجة طبيعيَّة أيضاً لتفاعله مع الأحداث العربية والدولية من موقعه رئيساً لدولة الإمارات.

تميَّزت سياسة الشيخ زايد بالمبادرة ومواجهة المشكلات، إذ توجَّه فوراً إلى دبي عقب إعلان الانسحاب البريطاني، وفي «السميح» كان لقاؤه بالشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، رحمه الله، الرجل الذي وضع يده في يد أخيه زايد لتكوين دولة الاتحاد، وفي 1969/2/18 سُوّيت قضية الحدود فوراً، وأظهر الحاكمان الحكمة والسماحة في كل بنود الاتفاقية، وقد سئل الشيخ زايد عن هذه الاتفاقية فقال: «إنَّنا نحرص على المودَّة والأخوَّة بيننا، وإنَّك إذا أخذت شيئاً من يدك اليمنى لتضعه في يدك اليسرى فهل يمكن أن يقال: إنَّك فقدت شيئاً؟! نحن جميعاً إخوة وجسد واحد».

جاء في بنود هذه الاتفاقية إعلان قيام اتحاد بين إمارتَي دبي وأبوظبي، وجاء فيها أيضاً دعوة حكَّام إمارات الساحل وحاكم إمارة قطر، وحاكم إمارة البحرين إلى الاجتماع للنظر في مستقبل المنطقة، وكانت استجابة الحكَّام سريعة، وأعلن بعد يومين من خلال اجتماع بدبي في 1968/2/25 أنَّه تقرَّر قيام اتحاد بين هذه الإمارات العربية التسع، وعندما شعرت إمارات الساحل بصعوبة تحقيق الاتحاد بين تسع إمارات، بدأ البحث الجاد بينها لإقرار صورة اتحادها، وقد جرت لقاءات عدة لحكَّام الإمارات السبع في 28 و1971/6/29 في أبوظبي، وفي لقاء الحكَّام في الثامن عشر من يوليو في ذلك العام، تمَّ التوقيع على وثيقة إعلان الدولة الجديدة بين: أبوظبي، ودبي، والشارقة، وعجمان، وأم القيوين، والفجيرة، باسم الإمارات العربية المتحدة، وفي 1972/2/10 أعلنت إمارة رأس الخيمة انضمامها إلى دولة الإمارات، وموافقتها على دستورها المؤقَّت، فاكتمل عقد دولة الإمارات العربية المتحدة.

زايد وبناء دولة الإمارات الحديثة

الحديث عن التقدُّم والازدهار، ونمو المدن ونشأة الجامعات، وتقدُّم التعليم، والتقدُّم الرياضي، ورعاية الشباب، وانفتاح الإمارات بالإذاعة والتلفزيون والصحف، وازدياد الرقعة الخضراء، والثورة الصناعية. كل هذا حديث طويل ومعروف، ولكنَّنا سوف نقصر حديثنا على بعض الجوانب المهمَّة فيما جرى من تغيُّرات في دولة الإمارات على يد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والمسؤولين، وتكاتف أبناء شعبه في هذا السباق العجيب مع الزمن للتقدُّم ببلدهم، وهذه الجوانب هي:

1. تغيُّر الفكر السياسي نحو الوحدة

حين جاءت الساعة الحاسمة عند إعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في 1971/12/2، وفي غمرة الحماس للدولة الفتيَّة، وبسبب السياسة الحكيمة للمغفور له الشيخ زايد، وإخوانه أعضاء المجلس الأعلى، ونشاط الوزراء والمسؤولين في الوزارات الاتحادية، التي عملت على غرس معنى الوطن الواحد شيئاً فشيئاً، بدأت فكرة الولاء للقبيلة أو الولاء القديم للإمارة تختفي، وحلَّ محلَّها الولاء للوطن كله.

كانت كل أنشطة الوزارات والمسؤولين في دولة الاتحاد تعمل على إحداث هذا التغيير في الفكر السياسي لأبناء الدولة، ولا ننسى الدور المهم الذي قامت به وزارة الإعلام عبر الإذاعة والتلفزيون والمحاضرات، ونشاط المسرح، وإحياء التراث، ودور الصحافة ووزارة التعليم في مناهجها وفي المواد الاجتماعية في غرس هذا المعنى.

لا شك في أنَّ خطوات الشيخ زايد وإخوانه حكام الإمارات كان لها آثارها الواضحة نحو تعميق معنى الوحدة، وكان لخطوة توحيد الشرطة وقوات الدفاع والجيش وإنشاء الجامعات دورٌ مهمٌّ وحاسمٌ في إحداث تغيير في الفكر السياسي نحو الولاء بالجهد المستمر وبالتخطيط، وهذا النجاح من أكبر الإنجازات العظيمة التي حقَّقها الشيخ زايد قائد مسيرة الاتحاد في هذا الوطن.

2. زايد والشورى

في الصحراء تعلَّم الشيخ زايد كيف يتعامل شيخ القبيلة مع الصفوة من عشيرته، وكيف يستشير كبار القبيلة قبل اتخاذ القرارات المهمَّة والمصيرية، وتعلَّم من تاريخ الإسلام كيف كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستشير أصحابه.

وتقديراً من الشيخ زايد لمعنى الشورى، وتقاليد حكم آل نهيان والأجداد في طلب المشورة، تقرَّر في يوليو 1971 إنشاء المجلس الاستشاري الوطني لإمارة أبوظبي، وقال الشيخ زايد في كلمة له في هذا المجلس: «**إنَّ واجب أعضاء المجلس الاستشاري الوطني هو المشاركة في بناء البلاد، وإرساء قواعد الحكم على أسس ديمقراطية سليمة. إنَّ الشعب يتطلَّع إليكم، وثقتنا بكم كبيرة لتحقيق آماله في التقدُّم والعزَّة والرفاهية**».

ويوضّح الشيخ زايد أصول تاريخ مبدأ الشورى في مجتمع إمارة أبوظبي، ويبيّن أن المهم والأساس هو تنفيذ مبدأ الشورى، وقد أوضح هذا بقوله: «**إنَّ المجلس الذي نبدأه اليوم ليس جديداً على مجتمعنا، فقد عرفت أبوظبي مبدأ الشورى منذ مئات السنين، وكان الأسلاف يتشاورون في الأمور التي تهمُّ البلاد. بعض الناس يظنُّون أنَّ هذا المجتمع لم يعرف النظام الديمقراطي من قبل، وهذا خطأ، لأنَّ الآباء والأجداد عرفوا الشورى، وآمنوا بها قبلنا. لقد فعلوا ما نفعله نحن الآن، لكن كلاً بطريقته ومفاهيم عصره، وسوف يظل مبدأ الشورى من أهم أسس حياتنا إلى الأبد، وأنا أتطلَّع إلى المستقبل، عندما يأتي**

الأبناء ويستمرُّون في تطبيق هذا المبدأ بما يلائم حياتَهم وعصرَهم ونُظمَهم».

قامت دولة الإمارات العربية المتحدة وكان أحد أسسها الشورى، فهناك المجلس الأعلى للحكّام، ومرة أخرى يتحدَّث الشيخ زايد بن سلطان إلى أعضاء المجلس الوطني الاتحادي، ويقول: «**إنَّكم لا تمثّلون أنفسكم، فأنتم تمثّلون أمَّة بكاملها، ومجلسكم هو مجلس أمَّة، وأنتم الحامية الحريصة على مستقبل هذا الوطن. مجلسكم هذا ليس عليه أي رقيب أو وصاية من أي فرد أو جهة، ولقد كفل لكم الدستور الحقوق الكاملة، وهذا يُعطيكم كل الاطمئنان للتعبير. مطلوب منكم الصدق لا التصديق. إنَّ الإنسان في بداية الطريق لا بدَّ أن يخطئ، والتجربة والخطأ هما أساس النجاح، ونحن لا نؤاخذ المخطئ إذا كان مخلصاً وأميناً، فليس المفروض أن يكون المسؤول على صواب دائماً، ولكن المفروض أن يكون مخلصاً وأميناً دائماً».**

ومن جوانب الاهتمام بمبدأ الشورى في دولة الإمارات تشجيع الشيخ زايد ظهور الصحف والمجلات، وإعطاؤها حرية التعبير والرأي، ولم يكن يكتفي بقراءة التقارير لمعرفة أحوال أبناء شعبه وحاجاتهم، بل كان بابه مفتوحاً لجميع المواطنين، ولا يكتفي أيضاً باللقاءات الرسمية الكثيرة مع أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى حكّام الإمارات، وزيارات المواطنين له، بل يذهب إليهم في جولات كثيرة.

ولهذا لم يكن غريباً أن تسود علاقات المودَّة والتشاور بينه وبين أعضاء المجلس الأعلى، وأن تزداد أواصر المحبَّة نحوه من أبناء الإمارات، فهم يرون فيه القائد والأب الكبير الذي يرعى شؤونهم.

3. زايد وقضية التراث

يقول الشيخ زايد: «**أدَّت التطوُّرات العلمية والمادية في العصر الحديث إلى اختفاء الجانب الروحي والمعنوي في بعض المجتمعات، حتى أصبح المجتمع الإنساني يسير على ساقٍ واحدة، وما أحوجنا الآن إلى استثمار القوى الروحية التي نملكها، وفي مقدّمتها الإيمان بالله، وهو سلاح أقوى من كل الأسلحة التي عرفتها البشرية**».

ويرى الشيخ زايد أنَّ انتصارات المسلمين في الماضي وسرَّ تقدُّمهم يرجع إلى تمسُّكهم بتعاليم دينهم فيقول: «**لقد كان الإيمان سلاح المسلمين الأوائل، الذي قهروا به أقوى الإمبراطوريات، ونحن أمة عريقة وغنية بتراثها وقيمها الروحية، وعلينا أن نوازن بين الاعتبارات المادية والروحية، ولدينا في كتاب الله وسنة رسوله ما يغنينا عن الأفكار والعقائد المستوردة**».

حرص الشيخ زايد بكل الثقة في قدرة الإيمان بالله وبالإسلام على مواجهة مادية الغرب وهجمته الشرسة، وبعد أن عمل بأساليب كثيرة ناجحة على ألا يغلق النوافذ على أبناء الإمارات في معرفة الغرب خوفاً من تأثُّرهم بعاداته وتقاليده، بل أعطى شعبه الحرية كاملة، بعد أن هيَّأ كل الوسائل لتقوية الدين والتراث في النفوس.

تقبَّل الشيخ زايد حضارة الغرب ببساطة ابن الصحراء القوي الحر، وحافظ على تعاليم الدين والشريعة، والأخلاق الإسلامية، وعادات البلاد، ولم يكتفِ برعاية الدين الحنيف وأخلاق العروبة في دولة الإمارات العربية فقط، بل أسهم في هذه الفلسفة الجديدة في بلاد المسلمين: إذ بنى المسجد، وبنى إلى جانبه المستشفى، والمدرسة التي تعلّمهم الحرف التي تمكّنهم من العمل في مجتمعهم الناهض.

4. زايد ونهضة المرأة

من أبرز معالم النهضة في دولة الإمارات الدور الذي تحتلُّه المرأة في الإسهام الفعَّال في الحياة العامَّة في الإمارات، وقد بدأ ذلك منذ وقت مبكر حينما اهتمَّ المغفور له الشيخ زايد «طيب الله ثراه» بتعليم البنات مثلما اهتمَّ بتعليم البنين، وهكذا قامت نهضة المرأة على أساسٍ متين من العلم بدينها وتراثها أولاً، ثمَّ العلم بفنون الحياة العصرية، لا سيما ما يلائم طبيعتها.

يقول الشيخ زايد: «**إنَّني أؤيّد عمل المرأة،**

لأنَّ ديننا الإسلامي الحنيف قد أيَّد ذلك، فما أيَّده الإسلام والرسول نؤيّده. إنَّني أوافق على عمل المرأة في أي مكان تجد فيه احترامها ووقارها، وكل موقع عمل تجده مناسباً لها، وعلينا ألا نتوانى في العمل به، وكما قلت: إنَّني أؤيّد ما يؤيّده الإسلام، وأعارض ما يعارضه الإسلام».

كان الشيخ زايد يهتمُّ بإعطاء الجيل الجديد من الفتيات والمرأة بصفة عامة فرصة للمشاركة في نهضة البلاد وحمل عبء التقدُّم فيها، فكانت البداية بتأسيس جمعيَّة نهضة المرأة الظبيانية في 1973/12/2، وسرعان ما تأسَّست في أنحاء الدولة في العام نفسه والعام الذي يليه، جمعيَّات مماثلة في جميع الإمارات، وكان من الطبيعي أن ينشأ اتحاد نسائي عام يمثّل الحركة النسائية في البلاد في الخارج والداخل، وفعلاً أسَّس هذا الاتحاد في 1975/8/27.

يرتكز نشاط الاتحاد النسائي داخل الدولة في دوره البارز في فصول تعليم المرأة، التي أعاقتها ظروفها الاجتماعية عن التعليم، وإلقاء المحاضرات الثقافية والدينية العامة، وعرض الأفلام الصحّية والاجتماعية، وشرح كيفيَّة العناية بالطفل، وإنشاء المكتبات في فروع الدولة، وتعليم المرأة الفنون النسائية كافة التي تهمُّها، ومن ثمار الاهتمام بتعليم المرأة حصول فتيات كثيرات من بنات الإمارات على درجات علمية عالية، وأصبح منهنَّ اليوم أستاذات في الجامعات، ووزيرات ومسؤولات في وزارات الدولة، كما واكب التشريع الدستوري وضع المرأة في الدولة وإعطاءها حقوقها كاملة.

5. زايد والتعليم العالي

من الإنجازات الواضحة في تقدُّم دولة الإمارات العربية المتحدة ما وصل إليه التعليم العالي وتعدُّد صوره، ومنها:

- تأسيس جامعة الإمارات في 1977/11/10.
- تأسيس في عام 1987 بدأت الدراسة في الانتساب الموجَّه.
- أنشئت في عام 1987 ثلاثة مراكز للبحوث بهدف تنشيط البحث العلمي وربطه بحاجات الدولة، وهي: مركز بحوث الصحراء والبيئة البحرية، ومركز بحوث وتطوير الخدمات التربوية والنفسية، ومركز بحوث التقنية والطاقة.
- في عام 1989 أنشئ مركز بحوث التاريخ والتراث الشعبي.
- كانت الإمارات من أولى الدول العربية التي وجَّهت الاهتمام إلى علاج النقص في الكوادر الفنيَّة لمواجهة متطلَّبات التنمية بما يمكن من استكمال الحلقة المفقودة في سلَّم التعليم.
- ثمَّ تعدُّد مجالات التعليم العالي، ومنها: جامعة عجمان، كلية زايد العسكرية في العين، كلية الشرطة في أبوظبي ودبي، أكاديمية العلوم البحرية في الشارقة، كلية دبي الطبية للبنات، وجامعة زايد.

6. زايد والمجتمع الثقافي

يعدُّ انتعاش الحركة الثقافية في الإمارات مظهراً للتقدُّم الذي قطعته الدولة، فهو يعني أنَّ الدولة عبرت مرحلة البنية المادية للتمدُّن، وبدأت تدخل في مرحلة الحضارة والثقافة الرفيعة، ويعود الفضل في كل هذا إلى رعاية الشيخ زايد لشخصية المواطن، وشفافية نفسه، وتذوُّقها للحياة والفنون الرفيعة، ودراية المواطن بتراث أجداده واعتزازه بثقافته المتميّزة، والمنفتحة على كل جديد ومفيد يمكن أن نستوعبه ونجعله مسايراً لتقاليدنا.

أسهمت في انتعاش الحركة الثقافية جهودٌ كثيرةٌ في مقدّمتها جهود وزارة الإعلام والثقافة بكل أجهزتها ونشاطاتها، وللصحافة في دولة الإمارات دور بارز أيضاً في انتعاش الحركة الثقافية والفنية في الدولة، وتعدُّ المتاحف العديدة التي ظهرت مراكز إشعاع ثقافي، وأكبر دليل على أنَّ الجهود الرسمية قد آتت أكلها، وأنَّ شباب الإمارات قد وصلوا إلى درجات من النضج والوعي، ظهور العديد من النشاطات والمؤسَّسات الثقافية مثل: جمعية الفنون التشكيلية، واتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وجمعية الاجتماعيين في الشارقة، وندوة الثقافة والعلوم بدبي، والمُجمَّع الثقافي.

7. زايد الزعيم العربي

اكتسب الشيخ زايد مكانة عربية مرموقة لمواقفه الواضحة في عدد من القضايا العربية، وأصبح من أبرز الزعماء العرب المعاصرين، ومن هذه المواقف:

- وقف ضخّ البترول في حرب أكتوبر عام 1973.
- دعمه للقضية الفلسطينية ولا سيما الانتفاضة.
- حرصه على وحدة الصف العربي، وتنقية الأجواء بين الإخوة العرب.
- موقفه الثابت من ضرورة وقف الحرب العراقية الإيرانية.
- دوره في عودة مصر إلى الصف العربي.
- موقفه الصامد والقوي في أزمة الكويت.
- مساهمته الفعالة في قيام مجلس تعاون دول الخليج العربي.

8. استراتيجية زايد وأسلوبه

لكل زعيم وقائد سياسي خططه وأهدافه، ولكنَّهم يختلفون في الأسلوب، وقد امتاز الشيخ زايد بن سلطان ببعد النظر والهدوء في التنفيذ، والصبر الطويل لتحقيق الأهداف، وهو يميل إلى السلم في حزم وقوَّة أكثر من ميله إلى العنف في معالجة الخلاف أو تحقيق الأهداف.

لقد صبر طويلاً حتى جاءته المسؤولية عام 1966، وصبر طويلاً حتى تحقَّق قيام دولة الإمارات عام 1971، وصبر طويلاً حتى قام مجلس التعاون الخليجي عام 1981، فهو بعيد النظر، هادئ، ولكنَّه حازم في تحقيق خططه.

9. زايد الأب وصانع الرجال

الآمال العظيمة، والطموحات القومية الكبيرة لا ترى النور حتى يظهر القائد، وتبدو عبقرية القيادة في جمع الرجال وصناعتهم لإنجاز الأعمال الكبيرة. الشيخ زايد هو الأب الكبير للشعب. أعطى التعليم والتربية كل اهتمامه لتخريج الرجال، وأعطى الجيل المتعلّم من أبناء شعبه كل الثقة منذ وقت مبكر، بإعطائهم المناصب القيادية، ولقد أثبتوا أنَّهم أهل للثقة، ونرى منهم اليوم الكثيرين في مواقع المسؤولية الكبيرة.

10. زايد رجل السياسة الواقعية

لم يكن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يعرف الشعارات، وإنَّما العمل الصالح لوطنه وأمَّته العربية والإسلامية، وهو يحقّق مبادئه بما يبذل من جهد ومال، ونشاط وحركة، وتخطيط هادئ، وبما يقوم به من اللقاءات المباشرة، ولهذا كان من أبرز الحكَّام في العالم وأكثرهم سفراً وحركةً واستقبالاً لرؤساء الدول، يدرس المشاكل العربية والعالمية على أرض الواقع وليس من التقارير المكتوبة أو المنقولة، وتلك صفة اكتسبها من تربيته الأولى في الصحراء؛ حيث يجب أن يعرف المشكلة من أفواه أصحابها.

زايد والمستقبل العربي

حينما نستقرئ مواقف الشيخ زايد خلال أزمة الكويت، ونحاول فهم هذه المواقف نجدها نابعةً من صدق ورؤية، وكلها تؤكّد أنَّه ابن الصحراء الذي تحلَّى بأخلاقها العربية وتقاليدها الإسلامية. إنَّها الأخلاق والصفات التي سمعها ووعاها من الآباء والأجداد.

لقد نظر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى هذه المحنة القاسية التي يسميها كارثة بقلب المؤمن وفكره، وهدوء الحليم القوي بعون الله (سبحانه وتعالى)، ويرسم صورة للمستقبل العربي في أحاديثه ولقاءاته في أثناء الأزمة وبعد النصر، ويرى بأفقه الواسع وصدره الرحب وحسّه القومي وواقعيَّته في النظر إلى الأمور في هذه المحنة، مواقف بطولة سجَّلها التاريخ لدول مجلس التعاون، ومظاهر وفاء ونخوة وتمسُّك بالمبادئ من إخوة وأصدقاء آخرين رغم الخلافات والتناقضات والفرقة العربية.

يقول رحمه الله: «**رغم أنَّ ما جرى في المنطقة قد ألحق الضرر والخسارة بالعالم كله، ولكن رُبَّ ضارة نافعة، وأحياناً الشر يحمل في باطنه الخير، فالله (سبحانه وتعالى) هو العالم بنفعها وفائدتها**»، فلم يرَ الشيخ زايد في المحنة الظلام فقط، بل شاهد بادرةَ

الضوء لفجر عربي جديد، لهذا كانت هذه المحنة درساً وعظة، ومراجعة للسياسة، وتجربة رغم قسوتها، فتحت طريقاً جديداً في السياسة العربية يقوم على الواقعية وتصحيح الأفكار والشعارات المغلوطة.

ويمكن أن نستخلص الخطوط الرئيسة لأفكار الشيخ زايد رحمه الله، وتحرُّكاته وسياسته بعد المحنة والنصر، وهذه الخطوات هي:

- اهتمامه أكثر من ذي قبل بالقدرة العسكرية، عندما بدأ استراتيجية الاعتماد على النفس، كما لم ينسَ عون الصديق والحليف، وجعل توثيق التعاون مع الحلفاء قاعدة رئيسة لأمن المنطقة، وعمل الترتيبات الأمنية العربية المطلوبة حسب حاجة دول الخليج ورغبتها، دون إغفال عون الحلفاء إذا دعت الحاجة الطارئة إلى ذلك.
- تأكَّد من أهمّية أمر الشورى والديمقراطية في السياسة الداخلية والخارجية، بدلاً من الدكتاتورية والشعارات الزائفة، وفي هذا الصدد يقول الشيخ زايد: «**علينا كدول إسلامية قبل أن ننتهج الديمقراطية ألا نتعدَّى كتاب الله وسنَّة رسوله الكريم، وإذا كان كتاب الله وسنَّة رسوله ينصَّان على هذه الديمقراطية فأهلاً وسهلاً بها، ونحن عندنا في بلدنا مبدأ الشورى موجود حتى قبل قيام الاتحاد، ليس فقط بين الأسرة الحاكمة، وإنَّما بين الأسرة والشعب، وعندما قام الاتحاد أصبح هناك مجلس وطني، وهذه المواقف كلها لا تخرج عن حدود الله وسنة رسوله**».
- وفي مجال المستقبل العربي أكَّد المغفور له الشيخ زايد في أحاديثه وأفعاله أن لا أحد يفرط في حقوق الشعب الفلسطيني، مثلما لا أحد يريد تقسيم العراق، وإذا فرَّط العربي في أي من هاتين القضيتين فإنَّ ذلك يعني أنَّه فرَّط في نفسه.
- ومن الجوانب المضيئة في أزمة الخليج الإجماع على ضرورة تعديل ميثاق الجامعة العربية، وقد عبَّر الشيخ زايد في تصريحاته عن المرحلة القادمة والتصوُّر الجديد لنشاط الجامعة، حيث قال: «**لا استمرار في الانقسام العربي، لأنَّ هذا الوضع ليس في مصلحة العرب أبداً، ومن الضروري تعديل ميثاق جامعة الدول العربية، وأن يكون القرار العربي بالأغلبية وليس بالإجماع، ولا بد أن تتجاوز الأمَّة العربية الآثار السلبية الناجمة عن أزمة الخليج لمواجهة مستجدَّات الوضع الحالي، ولا بد من تسجيل كل ما مرَّ بالأمَّة العربية من خطأ وصواب حتى نستطيع أن نعالج مشاكل العالم العربي على أساس من المصارحة والواقعية، وعندما ننظر إلى المستقبل نأخذ الدروس والعبرة**».

وقد بدأت دول الخليج ببادرة إسقاط الديون عن الدول العربية الفقيرة، وإلغاء فوائدها، وظهرت فكرة أن تتبع صناديق التنمية في هذه الدول صندوقاً واحداً، تضع فيه كل مساهماتها، وذلك لعون الدول العربية في مشاريعها واقتصاداتها، وأن يتعاون البيت العربي الواحد، ويصبح كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

كتب مشابهة:

زايد والتراث

زايد مسيرة القائد المؤسس

زايد والإمارات بناء دولة الاتحاد

قراءة ممتعة

ص.ب: 214444
دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 3444 423 04
نستقبل آراءكم على pr@mbrf.ae

تواصلوا معنا على

MBRF_News
MBRF_News
mbrf.ae
www.mbrf.ae

qindeel_uae
qindeel_uae
qindeel.uae
qindeel.ae

قنديل | Qindeel
للطباعة والنشر والتوزيع
Printing, Publishing, and Distribution

شركة تأمين تعتمد عليها
أساس لحياة أكثر
من سعيدة

ADNIC
شركة أبوظبي الوطنية للتأمين
ABU DHABI NATIONAL INSURANCE COMPANY

جوائز "لايف واير" الخاصة بالمؤسسات لعام 2018 و 2017 و 2015 | جوائز بانكر ميدل إيست لعام 2017 و 2016 و 2015
جائزة الشرق الأوسط للتأمين والمخاطر – جائزة التميز لعام 2016 | جائزة أفضل تجربة تطبيق على الهاتف المحمول من مهرجان الجوائز الخاص
لعام 2015 | جائزة الابتكار والتميز 2015 | معتمدة من قبل آيزو 9001 لعام 2015 | تصنيف بدرجة (-A) من قبل ستاندرد آند بورز

adnic.ae | 800 8040 | adnic.ae | @adnic_ae
Abu Dhabi National Insurance Company